

شهاب الدين الحلبي وجهوده الأدبية

مقدمة:

شهد القرن الثامن الهجري نشاطاً كبيراً في الحركة العلمية والأدبية؛ فقد استمرت سياسة تشييد المساجد والمدارس، وتخصيص دور العلم، والوقوف عليها وعلى طلابها والعناية باختيار الأساتذة الأكفاء لها.

وكان مما شهدته هذا القرن هو نشاط حركة التأليف والتدوين في شتى مجالات العلم والمعرفة؛ فألفت الكتب في اللغة والنحو والفقه والتفسير والأدب والتاريخ والطب وغيرها، وهي في مجملتها تمثل ثمرة نشاط علمي وأدبي متميز شهدته هذا القرن.

كما حفل هذا القرن بطائفة كبيرة من فضلاء الأدباء: كتاباً وشعراء، وكان من بين من نبغ فيها من العلماء والأدباء: شهاب الدين بن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ)، وزين الدين عمر بن الوردى (ت ٧٤٩هـ)، وصفي الدين الحلبي (ت ٧٥٠هـ)، وجمال الدين محمد بن نباتة المصري (ت ٧٦٨هـ)، وشهاب الدين الحلبي (ت ٧٢٥هـ) الذي نحن بصدد التعريف به، ودراسة نتاجه الأدبي.

ولشهاب الدين الحلبي مكانة متميزة بين علماء تراثنا العربي؛ لما بذله من جهود كبيرة في مجال خدمة اللغة العربية والوقوف على علومها المختلفة، فضلاً عما خلفه لنا من تراث علمي وأدبي ضخم ومهم؛ وهو بعد يعدُّ في الذروة من كتّاب الدواوين في العصر المملوكي؛ لبلاغته، ودقّة تفكيره، وروعة أدائه، وحسن تأتبه في الرسائل، وقد احتل مكانة متميزة في تاريخ الأدب العربي، إذ جمع بين الكتابة والشعر، كما كان ناقدًا ذواقًا له آراؤه البلاغية وأحكامه النقدية. وقد وجدنا في أدبه مادةً غزيرة للكشف عن طبيعة الحياة التي عاشها شهاب الدين الحلبي، وسمات عصره الحافلة

أ.د. حسين عبد العالي بعيوي

كلية الفقه/ جامعة الكوفة

م.د. عبد الهادي عبد الرحمن الشاوي

مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

بالقلق والاضطراب الاجتماعي؛ لذا وجدنا أنّ هذا الأديب حرياً أن يدرس أدبه، ففيه من نفائس الأدب وغرره ما يجعله أهلاً للبحث والدرس.

ومن هنا جاءت الدراسة في تمهيدٍ وثلاثة فصول، وفي التمهيد حاولنا التعريف بشهاب الدين الحلبي من خلال استقراء سيرته، وفي الفصل الأول تطرّقنا إلى رسائله وخصائص أسلوبه في الكتابة، وأبرز سماته الفنية، أما الفصل الثاني فقد تناولنا شعره وما تضمّنه من مضامين وخصائص فنية، في حين جاء الفصل الثالث في دراسة جهوده النقدية في الأدب أدلى بها في مواقف ومناسباتٍ شتى؛ فضلاً عن جهوده البلاغية التي ألمع إليها في كتابه (حسن التوسل إلى صناعة الترسّل).

التمهيد: (دراسة في ترجمة شهاب الدين الحلبي):

- اسمه ومولده: شهاب الدين أبو الثناء محمود بن زين الدين أبي الغنائم سلمان بن فهد بن محمود الحلبي الدمشقي الحنبلي الكاتب صاحب ديوان الإنشاء^(١).

ولد شهاب الدين بحلب في شعبان سنة ٦٤٤هـ^(٢)، وإليها نسب.

- ثقافته وآراء العلماء فيه:

ولد شهاب الدين بحلب، وبها قضى طفولته، ثمّ عيّن والده قاضياً لدمشق والده سنة ٦٥٤هـ،

ففارقها في أول حياته بصحبة والده، وله من العمر عشر سنوات، وإذا كانت ولادته في حلب فإنّ نشأته كانت في دمشق، وبها درس وتثقف وألمّ بمعارف عصره إماماً حسناً، وخاصة علوم الدين واللغة والأدب، واستفاضت شهرته في الكتابة، ونظم الشعر، كما تعلّم الخط المنسوب، وكان من بين أساتذته الذين أخذ عنهم: أبو البركات بن عثمان بن المنجى الحنبلي المتوفى سنة ٦٩٥هـ وقد أخذ عنه الفقه، وسمع الحديث عن عبد الرحمن بن أبي عمر المقدسي المتوفى سنة ٦٨٢هـ، وأحمد بن عبد الدائم المقدسي الحنبلي المتوفى سنة ٦٦٨هـ، كما أخذ العربية عن جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك النحوي المتوفى سنة ٦٧٢هـ، وعلم العروض عن مجد الدين محمد بن أحمد بن الظهير الإربلي المتوفى سنة ٦٧٧هـ الذي كان متأثراً به حتّى أنّه سلك طريقه في النظم، وحذا حذوه، وأرى عليه^(٣).

عرف شهاب الدين بشرف النفس، وكرم الطباع، وحسن السلوك، وقد شهد له مترجموه بالفضل والتفوق فقد كان - كما يقول ابن حبيب - (علماً في علم الأدب، حجةً في نقل كلام العرب، رحلة للطلاب، قدوة للكتاب، صائلاً في حومة البراعة، مجلياً في حلبة أرياب اليراعة، حسن السيرة والسلوك، كاتباً كاتماً أسرار الملوك، ذا عفة

عمل في هذا الديوان أكثر من عشرين سنة ، نقل بعدها إلى دمشق ليتولّى ديوان الإنشاء هناك، بعد وفاة شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله العمري (ت ٧١٧ هـ) فأقام على المنصب ثمانية أعوام وتوفي^(٨) .
وفاته وآثاره :

مات شهاب الدين الحلبي ليلة السبت ثاني عشرين شعبان سنة ٧٢٥ هـ بدمشق، وقد جاوز الثمانين سنة^(٩).

كان شهاب الدين الحلبي عالماً من أعلام الحركة العلمية والأدبية في القرن الثامن الهجري، وقد ترك آثاراً مهمة من المصنّفات المفيدة منها:

١- حسن التوسل إلى صناعة الترسل (ط).

٢- منازل الأحاب ومنازه الألباب (ط) .

٣- مقامة العشاق.

٤- أهني المنائح في أسنا المدائح (ط).

٥- ذيل على الكامل في التاريخ لابن الأثير (مخ)^(١٠) .

المبحث الأول: جهود شهاب الدين الحلبي في

النثر:

كان شهاب الدين الحلبي ملماً بعلوم عصره: كالنحو واللغة والأدب، والتاريخ، والفقه والحديث؛ إلا أن الغالب عليه الكتابة، وقد حاز قصب؛ سبق فيها، وصار أحد جهابذة الكتاب، بل (شيخ صناعة الإنشاء الذي لم يكن بعد القاضي

وصيانة، وصبر على حمل ثقل الأمانة .. وتفرد في عصره في علم الأدب والكتابة مع التواضع والوقار والسكون والتلاوة والتقشف والديانة ومحبة الصالحين)^(٤)، وعده الأتابكي (من أئمة الكتاب ، ورأس البلغاء في عصره، وكانت له معرفة بأيام الناس وتراجمهم، ومعرفة بخطوط كتاب الخط المنسوب)^(٥)، وقال فيه الذهبي (كان ديناً خيراً متعبداً، مؤثراً للانقطاع والسكون، حسن المجاورة، كثير الفضائل)^(٦)، وفيه يقول الصفدي: (وكان محباً لأهل الخير والصالحين، مواظباً على النوافل والتلاوة والأوعية، يستحضر ذل، ويذكر الموت دائماً، وعنده خوف من الله تعالى، وعليه سكينة كبيرة ووقار)^(٧) .

- وظائفه:

كان شهاب الدين قد أتقن الخط المنسوب إليه، وقد وفر له هذا الخط رزقاً ميسوراً يعيش منه، فكان يرتزق بالنسخ، فلما اشتهر اسمه دعي إلى ديوان الإنشاء بدمشق؛ لياشر عمله كاتباً في الديوان، وقد أثبت في ذلك جدارة ومقدرة، فكانت إليه مناصب أمور ديوان الإنشاء الذي لا يتولاه إلا من أتقن فن الكتابة وبرع فيها، وطار اسمه في الآفاق، وذاع صيته، الأمر الذي حدا بالوزير محمد بن عثمان الشهير بابن السلعوس إلى أن ينقله إلى ديوان الإنشاء بمصر بعد وفاة محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر (ت ٦٩٢ هـ) إذ

وكياسة؛ لأن مهمة صاحب هذا الديوان تتطلب حسن التدبير، ورجاحة الرأي، والمعرفة بأمزجة الناس، والإطلاع على ما يقوي علاقات الناس، ويوثق روابطهم، كما تتطلب معرفة تامة بأساليب البلاغة وطرقها، لتكييف الكلام بحسب مقتضى الحال ليؤدي الغرض الذي كتبت من أجله الرسالة، وتختلف هذه الرسائل في صياغتها وأسلوبها تبعاً للمهمة المناطة بها، إذ لا يمكن أن نرى توافقاً بين رسالة كتبت إلى قائد جيش مع أخرى كتبت لعامل آخر، فلكل رسالة صياغتها التي تمتاز بها عن غيرها من حيث الأسلوب، ومن حيث طريقة عرض الفكرة، كل ذلك يعتمد على قابلية الكاتب ومدى مهارته في ملائمة الأفكار مع الطريقة والأسلوب بما يعزز من قدرة الرسائل على إحداث التأثير الذي من أجله يسعى إليه منشئ النص في القصدية وفي الإبلاغية. والكتاب على كثرتهم يعرفون المقامات، وما يصلح في كل مقام منها من فاخر الكلام، وهم يرعون ظرف المقام، وما يقتضيه من إيجاز وإطناب؛ عملاً بالمقولة السائدة (لكل مقام مقال)، وهو ما ألمع إليه شهاب الدين الحلبي نفسه بقوله حيث يوجب (إعطاء كل مقام حقه، فإذا كتب إلى مقامي الجيوش فليتوخ الإيجاز، والألفاظ البليغة الدالة على القصد من غير

الفاضل مثله في صنعة الإنشاء)^(١١). لقد كانت الكتابة من أهم آثار شهاب الدين الحلبي، وأعظم مجالاته نبوغاً، وشهرته فيها أعظم من شهرته شاعراً، وقد تنوعت إبداعاته الأدبية بين الشعر والكتابة، وظهرت مقدرته الفنية في كتاباته النثرية التي اتخذت أشكالاً عدة منها:

أولاً- الرسائل السلطانية (الديوانية):

ويقصدُ بها تلك الرسائل التي يكتبها كتاب ديوان الإنشاء في المناسبات الرسمية على لسان السلطان، أو بأمره. وموضوع الرسائل الديوانية يتضمّن التهنئة بنصر، أو تقليد منصب، أو نقل إلى بلد ما، أو مكاتبة عامل، أو أمير، وما إلى ذلك. وقد بلغت الرسائل الديوانية في هذا العصر، منزلةً رفيعة، وارتفعت منزلة الكتاب لدى السلاطين والملوك الأمراء إلى مرتبة عالية، لا تقل شأنًا عن مرتبة القضاة وأرباب السيوف.

وتعدّ الرسائل الديوانية ذات أهمية تاريخية، فهي تسجّل لنا بدقة ووضوح الحالة السياسية والاجتماعية والأخلاقية التي كان الناس آنذاك يتقلبون فيها، ويعيشون في أكنافها. وقد اهتمّ سلاطين المماليك في مصر والشام بها، فأنشأوا لها ديواناً خاصاً بها سموه (ديوان الإنشاء)، واختاروا له أحسن الرجال أدباً وثقافة، وسياسة

الكتابة فيها. وهذا هو أنموذج للتوضيح. ثانياً- الرسائل الأخوانية: ويراد بها الرسائل التي يتبادلها الكتاب فيما بينهم ، أو بين أصدقائهم، لتوكيد أواصر الصداقة والمودة، أو إظهار مقدرتهم الفنية في الكتابة، فهي تصور عمق العلاقات الاجتماعية. أما المقاصد والأغراض التي تناولتها الرسائل الأخوانية فهي كثيرة ومتنوعة، ينصب أكثرها حول الثناء والشكر ، وتقديم التهاني والتعازي ، ومنها ما يتناول الممازحة والمداعبة والاستعطاف ، وما إلى ذلك من مقاصد وأغراض أخرى ... وتمتاز الرسائل الأخوانية بأنها قصيرة ، وتكثر فيها عبارات المجاملة ، ونعوت التعظيم ، ويراعى فيها التناسب بين الموضوع والألفاظ ، فضلاً عن كونها بعيدة عن اهتمام العامة من الناس ، أي أن موضوعات (الكتابة الأخوانية ظلت نائية عن الموضوعية والجماهيرية محصورة في دائرة طبقة لا تتجاوز شخصين يتراسلان)^(١٤) ، وهذا الاعتناء والاهتمام بها جعلها تأخذ وتكتسب جوانب جمالية خاصة ومنفردة ولاسيما في عصر شهاب الدين الحلبي. واستطاع شهاب الدين الحلبي أن يبدع في هذا النوع من الرسائل، وأن يظهر فيها بلاغته ومقدرته في الصياغة والتأليف، وله في هذا النوع من الرسائل رأي يقول فيه: (أما الكتب الأخوانية والكتب التي تعمل رياضة للخاطر فيما يقل

تطويل ولا بسط، يضع القصد ويفصل الكلام بعضه عن بعض، ولا تهويل لأمر العدو، تضعف فيه القلوب، ولا تهوين لأمره يحصل فيه الاعتزاز)^(١٢). ومن هذا الفهم ينطلق شهاب الدين الحلبي في مهمته التي كلف بها في إنشاء الرسائل السلطانية ، معتمدا على مقدرته اللغوية ، وعلى فهم دقيق لنفسية من تكتب إليه الرسائل ، فهو عندما يكتب إلى بعض القادة العسكريين حاثا لهم على العمل بجد ، بما يبعث في نفوسهم العزيمة، ويوقظ الهمة والقوة نراه يقول (يا خيل الله اركبي ، ويا ملائكة الرحمن اصحبي ، ويا قواد الظفر والتأييد اقربي ، والعزائم قد ركبت على سوابق الرعب والسيوف قد انصلت من الغمود ، فكادت تنفر من جرابها، والأسنة قد ظمأت إلى موارد القلوب .. والكلمات قد زارت كالليوث إذا دنت فرائسها .. والنفوس قد أضرمت المية نار غضبها ..)^(١٣) ، ومن خلال هذا النص يمكن القول إن المنشئ قد وضع نصب عينيه الحالة التي يمر بها القائد العسكري واحتياجات تلك الحالة من الإعداد النفسي والمعنوي، فهو يلجأ إلى الاهتمام بالجوانب النفسية ومراعاتها، متبعاً في ذلك أسلوب إثارة العزيمة والنخوة في قلوب المدافعين، ومقدما لهم صوراً تحكي البسالة والإقدام وتثير العزيمة، وكل ذلك مرده إلى الفهم الصائب لكاتب النص للحالة التي أوكل إليه

تناسب العبارات في طولها ، كما نلاحظ السجع الطويل في معظم جملها ، إنَّ ما يثيره هذا النص من عواطف ومشاعر تستدعي قليلاً من التأمل ؛ ولاسيما إنَّ عاطفة الأبوة التي فاضت لتلقي كلِّ ما يتدفَّق على لسان والدِ تغمره الفرحة بمولوده الجديد ؛ إنها صورةٌ مشرقةٌ لإحساسه المتوقد ، وعاطفته الجياشة .

ثالثاً- التقليديات والتواقيع:

ولعلَّ كاتباً لم يبرع في التقليديات والتوقيعات براءة شهاب الدين الحلبي فيها ، وقد قطع الأدب العربي شوطاً في تطوُّر هذا النوع من الكتابة منذ عصر صدر الإسلام ، ثمَّ ما لبث أن شاع واشتهر في عصر شهاب الدين الحلبي ، وهو ما اصطلح عليه النقاد ودارسو الأدب بالعصر الوسيط ، وصار لهذا النوع خصائص وسمات ، منها أن تكون هذه التقليديات والتواقيع - كما يراها شهاب الدين نفسه - قصيرة موجزة ، دالة بعيدة عن البسط الممل ، مع براءة الاستهلال بذكر الرتبة والحال ، وأن يراعي الكاتب المناسبة ، وأن لا يعطي أحداً فوق ما يستحق ، أو دون صفته ، وان تكون المعاني التي يصوغها الكاتب مختارة بدقة ، لأنها سوف تذاق ويطلع عليها عامة الناس لذلك وجب الاعتناء بها وعدم تعقيدها ، وان تكون سهلة الفهم مستساغة من الجمهور^(١٨)،

وقوعه لاحتمال أن يقع أو فيما تمتحن به قوة القريحة ويعتبر به تصرف الفطنة ويسبر به غور الذهن ويعلم به استعداد الفكر ، فان الكاتب في ذلك الأمر مطلق العنان تجلى بينه وبين قوته فيه أو ضعفه ، لكن على كل حال يراعى كل مقام بحسبه^(١٥) ، وهو بذلك يقدم لنا مسوغات عمل هذا النوع من الرسائل التي يظهرها بالمظهر اللائق بما يثير الفكر ويسلي خاطر ، (فقد يكون رياضة للفكر أو راحة للنفس أو دعوة للمشاركة في الهم أو الفرح وعلى الرغم من هذا فان الجانب الشخصي كرسائل التهاني والاعتذار والتقريظ وما شابهها ، وتوسعها السذاجة في المعاني اللفظية ونسج الألغاز^(١٦) ، ومن جميل ما كتبه شهاب الدين الحلبي رسالته التي سجلها على لسان المولود لوالده : (تقبل الأرض ابتداء بالخدمة من حين ظهر إلى الوجود أو تشوقاً إلى امتطاء سهوات الجياد بين يدي سيده قبل المهود ، وتيمناً أن يكون أول شيء يقع عليه نظره من الدنيا وجه مولانا الذي تعلق بنظره الجدود ، وتتميمٌ برويته كواكب السعود)^(١٧) . ولعلَّ في هذا الجزء الذي ذكرناه من الرسالة ما يقوم شاهداً على بلاغة شهاب الدين الحلبي ، وفصيح لغته ، ووضوح معانيه ، وصفاء أسلوبه ، ما يعكس بجلاءً طريقتة البارعة في الكتابة ، من حيث



الذين برزت مهارتهم الفنية في استثمار هذا الفن البلاغي وتطويعه في رسائلهم.

وشهاب الدين الحلبي أحد أبرز الكتاب الذين استثمروا هذا الفن في إبراز المعنى ، أو إضفاء حسٍ جمالي ، أو موسيقي على النص الذي يرد فيه . وعلى الرغم من افتتانه بالبديع وإسرافه في التماسه فإننا لا نجد أثراً في رسائله لتكثفٍ ممجوج ، أو ثقلٍ ظاهر ؛ لأنَّ شهاب الدين عرف كيف يستثمر هذا الفن بحسّه المرفه ، وذوقه الفنيّ الأصيل . وكان من بين المحسنات البديعية التي برزت كظاهرة فنية في رسائله :

أولاً- الاقتباس:

اعتاد الأدباء العرب على اختلاف عصورهم تضمين نتائجهم الفني بآي من القرآن الكريم ، وهو ما اصطح عليه البلاغيون بالاقتباس ، ونزوعهم إلى الاستشهاد بالقرآن الكريم ؛ (لأنهم وجدوا فيه إقامة الحجّة ، وقطع النزاع ، وإذعان الخصم ، وقد تقوم الآية الواحدة المستشهد بها في بلوغ الغرض ما لا تقوم به الكتب المطوّلة ، والأدلة القاطعة)^(٢٠) .

والكتاب أكثر عناية من غيرهم بهذا الفن البديعي ؛ لما له من إمكانيات بلاغية وفنية تسهم في إنارة النص الأدبي ، وإثارة انتباه المتلقي ، فأخذوا يرصعون رسائلهم بالآيات تمثلاً وإشارة، ووضعها بالمواضع الملائمة لها من الرسالة، وقصارى

ومن تقليدٍ له كتبه لسان السلطان لبعض الولاة : (وفوضت إليه مراسم الحكم في الرعايا بالعدل والإحسان ، وقلدته أوامراً من عقود النظر في تلك الممالك ما تودّ حياة الملوك لو جلب بدره معاهد التيجان ، وعدقت به من الأوامر ما بنا تنفذ مواقعه وكذا الأمور المعتبرة لا تنفذ إلاّ بسُلطان من ألقى الله الإيمان في قلبه وهداه إلى دين الإسلام فأصبح فيه على بينة من ربه وأراد به خيراً فنقله من حزب الشيطان إلى حزبه)^(١٩) .
خصائص أسلوبه في الكتابة:

يعدّ شهاب الدين من أبرز الكتاب النابهين في عصره ، الذي وهب حياته للكتابة ، وأخلص لها ، فكان كاتباً مبرزاً قد تعطى فنّ الكتابة زهاء خمسين عاماً ، وعلى الرغم من طول المدّة التي قضاها في ديوان الإنشاء ، وإليه مرجع الكتب والمراسلات ، فإنّه لم يستطع النهوض بهذا الفن ، فقد ظلّ مقلداً لمن سبقه في العصور الماضية من الكتاب تقليداً جامداً لا روح فيه ، فهو مشحون بزخارف شكلية متكلفة من المحسنات البديعية ، وتخيم على معانيه وأفكاره المبالغة التي تبعد به عن الأصول المرعية، والفترة البيانية. ومهما يكن من أمرٍ فإنّ هذه السمات كانت هي المفضلة عند الكتاب ، والمقبولة لديهم في هذا العصر الذي شهد طغيان موجة البديع على سائر فنون النثر، بل صار ذلك وكد الكثير من الكتاب

لا يروع سريه، ولا يكدر شربه ، ولا يوجد فيه باغٍ يُخاف السبيل بسببه، ولا من يجرّد سيفٍ بغيٍّ وإن جرّده قتل به، وليحفظ من الأطراف ما استودعه الله، وهذا التقليد الشريف حفظه، وليعمل في قتال مجاوزيه من العدى ، بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة) [التوبة : ١٢٣] ((٢٣).

(ب) الاقتباس المشروط :

هو أن يُضمّن الكلام شيئاً من القرآن وأن ينبّه عليه^(٢٤)، وهذا يعني أن يستشهد الكاتب بآية من القرآن مشيراً إليها ، وهذا النوع من الاقتباس غاصّ برسائله، ومن ذلك ما جاء في رسالة لشهاب الدين الحلبي يصف بها كاتباً ((وهذا فلانٌ قد أتاه الله في بلاغته الحكمة ، وفصل الخطاب ، ومكّنه أزمة جياذ المعاني ، فهي (تجري بأمره رخاء حيث أصاب) [ص : ٣٦] ، ومنحه فضيلتي العلم والعمل ، فإذا كتب (أخذت الأرض زخرفها وأزبنت) [يونس : ٢٤] ، وإذا قال (قال الذي عنده علم من الكتاب) [النمل : ٤٠] ((٢٥).

٢- الاقتباس الإشاري: وفي هذا النوع يحق للكاتب أن يغيّر لفظ المقتبس منه بزيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير، أو إبدال الظاهر من المضمّر ، كون (المقتبس منه ليس بقرآن حقيقة

جهدهم فيه: (أن يقتبسوا من ألفاظه ومعانيه في أنواع مقاصدهم، أو يستشهدوا ويتمثلوا في فنون مواردهم ومصادرهم، فيكتسي كلامهم بذلك الاقتباس معرضاً ما لحسنه غاية، ومأخذاً ما لرونقه نهاية ، ويكسبُ حلاوةً وطلاوةً ما فيها إلاّ معسولة الجملة والتفصيل)^(٢١) ، ونثر شهاب الدين الحلبي حافلٌ بالاقتباس، وكان اقتباسه من وجهين:

١- الاقتباس النصّي:

يتمثل هذا الاقتباس بما يؤثره الشاعر من أيّ الذكر الحكيم : سواء كان آية ، أم جزء من آية ، فيودعها في تضاعيف شعره دون أن يتصرّف بألفاظها ، وهو على نوعين:

(أ) الاقتباس المرسل:

هو أن يضمّن الكلام شيئاً من القرآن والحديث ولا ينبّه عليه للعلم به^(٢٢). وهذا يعني أن يؤثر الكاتب لفظ القرآن فيلجأ إلى تضمين آية أو ألفاظ من القرآن الكريم ضمن ألفاظ نصوصه على وجه لا يشعر به أحد ، ولا ينبّه عليه أحد ، وكأنه جزء من كلام الكاتب ، ومن ذلك ما جاء من رسالة ديوانية لشهاب الدين الحلبي ((أن يفوض إليه نيابة الممالك الفلانية تفويضاً يصون به قلاعها ، ويصول بمهابته على من حاول انتزاعها من يده واقتلاعها، ويجريها على ما ألفت ممالكنا من أمنٍ

شهاب الدين فإننا نراه يوازن عباراته موازنة تدفعه إلى استعمال البديع فإن تركه كان إلى الازدواج أميل ، ويبدو ذلك واضحاً في قوله : (وسرنا بالجيش الذي لا يدرك الطرف حده ، ولا الوهم عده ، فكأن ذوائب السحاب عذب بنوده ، وكأن شوامخ الآكام مناكب إبطاله ومراكب جنوده)^(٢٨)، وفي هذا النص يظهر الالتزام الدقيق بالسجع المزدوج فقد التزم بحرفين (الدال والهاء)، وهذا المسلك الفني كان علامة بارزة في نثره، وتدل عليه النصوص النثرية التي أنتجها طوال حياته الأدبية ، وما إيرادنا لنموذج واحد هو ما نريد أن نؤكد به على وجود هذه الظاهرة وترسخها في باقي نصوصه النثرية.

ثالثاً - التناص مع الشعر (حل البيت الشعري): ويراد به أن يتوخى الكاتب هدم البيت المنظوم ، وحلّ فرائده من سلكه ثم يرتب تلك الفرائد وما شابهها ترتيباً متمكناً لم يحصره الوزن ولا اضطرتّه القافية ويبرزها في أحسن سلك، وأجمل قالب وأصح سبك ويكملها بما يناسبها من أنواع البديع من غير كلفة^(٢٩). وهذا لا يعني ضياع التميز والتفرد الذي يعطيه الحق في الحضور علماً بارزاً في الساحة الثقافية في عصره، فاستطاع أن يوظف الأفكار التي سبقه إليها الكتاب أو يلجأ أحياناً إلى أخذ الفكرة من فن أدبي آخر وأعني به الشعر، إذ قام بأخذ الفكرة التي

بل كلام يماثله ، بدليل جواز النقل عن معناه الأصلي، وتغيير يسير فيه)^(٢٦) . وهذا ما نجده متحققاً في قول شهاب الدين الحلبي من رسالة كتبها في فتح حصن المرقب (وتخلخت قواعد ما شيد من أركانه ، فانحلت وانشقت سماؤه من الجزع ، فألقت ما فيها إلى الأرض وتخلت ، ومشت النار تحتهم وهم لا يشعرون ، ونفخ في الصور ، بل في السور فأذاهم قيام ينظرون ، فلجأوا إلى الأمان وتسمك ذل كفرهم بعزة الأيمان وتشبثوا بساحل الظفر حين ظنوا أنهم أحيط بهم وجاءهم الموج من كل مكان)^(٢٧) .

فألفاظ هذا النصّ مستمدة من قوله تعالى (هُوَ الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم يريح طيبة فرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين)، [سورة يونس ، الآية ٢٢] .

ثانياً - السجع والتوازي والازدواج : ولعلّ السجع أكثر من غيره شيوعاً في رسائل شهاب الدين ، ونزوعه إلى هذا الإيقاع المتناغم ؛ لأنه سمة السجع الغالبة على نتاجه الأدبي، وجوهره الفني الذي يبني على الجمل القصيرة ، وبشكل مكثف يلعب على مساحة النص ويستحوذ على أسماع المخاطبين ، وإذا تأملنا رسائل

كان عليه نثره ، وعن طريقته في الكتابة، فهو يميل إلى الإيجاز ، والوضوح مع غلبة السجع عليه، وكثرة الاقتباس من القرآن والاستشهاد بأقوال الحكماء، وهو دليل على ثقافة شهاب الدين ومصادرها .

المبحث الثاني: جهود شهاب الدين الحلبي في الشعر:

يعدُّ شهاب الدين الحلبي من ذوي المواهب المتعددة ؛ فقد جمع بين الكتابة والشعر والتأليف، وقد برع في الشعر كما برع في الكتابة، وشعره صورة صادقة حية تعكس طبيعة الحياة التي عاشها شهاب الدين الحلبي، وسمات عصره الحافلة بالقلق الاجتماعي والاضطراب السياسي . إنَّ ما وصل إلينا من شعر شهاب الدين الحلبي لا يعدو أن يكون عبارة عن قصائد ومقطوعات وأبياتٍ متناثرة في المصادر التاريخية والأدبية، ولسنا نعلم على وجه التحقيق هل لشهاب الدين الحلبي ديوان شعرٍ مجموع أم لا ؟، وكلُّ ما ذكرته عنه أنَّ له (قصائد طويلة طائفة هائلة لعلَّها تجيء في ثلاث مجلِّدات أو أربعة، ولم يجمعها أحد)^(٣١).

أولاً: أغراض شعره: نظم شهاب الدين الحلبي الشعر في كثير من أغراضه التي كانت معروفة في عصره: كالمديح، والغزل ، والرثاء، والوصف

أوجدها شاعر ما ، وأجاد فيها، فان شهاب الدين الحلبي ينحو إلى تقليدها، مغيراً حلتها في عملية من عمليات التغيير والامتزاج بين الفنون الأدبية من خلال حل البيت الشعري، أي كسره واستخراج معناه ثم صياغة المعنى في قالب فني آخر وبأسلوب يبتعد عن الشاعرية إلى البسط والتوضيح، والنثر أقدر على ذلك هذه العملية يطلق عليها في التراث الأدبي العربي عملية (الحل)، ولكي يدلل شهاب الدين الحلبي على قدرته هذه فإنه يضرب لنا مثلاً في حل البيت الشعري للشاعر ابن الرومي الذي يقول فيه:

وحديثها السحر الحلال لو أنه

لم يجز قتل المسلم المتحرز

فقال (وكفى بالسيوف فخرًا إنها للجنة ظلال والى النصر مآل، إذا كان من بيان الحديث سحر، فان بيان حديثها عن كلمته هو السحر الحلال)^(٣١)، وفي هذا النص تتضح عملية التناص مع معنى شعري لشاعر استطاع الكاتب إعادة صياغة معناه في ثوب فني آخر، وهنالك شواهد كثر تؤكد

قدرة الحلبي على سلوك هذا النوع من التوظيف أو التناص أو ما كان يسميه الأقدمون بحل البيت الشعري. وصفوة القول: إنَّ ما أوردناه من نثر شهاب الدين الحلبي يعطينا صورة واضحة عمّا



في البرِّ والبحر ما ينجي من الهربِ
ففاجأتها جنود الله يقدمها

غضبان لله لا للملك والنشبِ
أغضبت عبَادَ عيسى إذ أبدتهم

الله أي رضا في ذلك الغضبِ
ما بعد عكا وقد لانت عريكتها

لديك شيءٌ تلاقيه على تعبِ
فانهض إلى الأرض فالدُّنيا بأجمعها

مدت إليك نواصيها بلا نصبِ

فهذه الأبيات صورة واضحة لما تميّزت به شخصية السلطان الأشرف من معالم قد عنى الشاعر بإبرازها، وما أبداه من في تلك الحرب من مهارة القيادة، وضروب الشجاعة والإقدام، كما أظهر الشاعر في هذه القصيدة مقدرته الفنية حيث مزج بين مديح السلطان الأشرف ووصف المعركة في نسيج متلاحم من صدق الإحساس، وسمو الخيال، وجزالة اللفظ، ومتانة السبك.

ووصل إلينا من مديحه في بعض أصدقائه وأهل وداذه، ولم يكن مديحه فيهم تكسباً واجتداءً للمال، وإنما كان يقوله ليوثق أواصر المودة والقربى؛ وليفصح عما في نفسه من محبة لهم على نحو ما جاء في قوله وهو يمدح صديقه محمد بن

موسى المقدسي (ت ٧١٢ هـ) (٣٣): الطويل

إمام له سبق المجلى إلى العلى

إذا فضلاء الأرض في العصر صلّت

.. وأول ما نقف عنده من هذه الأغراض:

(١) المديح: يعدّ المديح من أبرز الأغراض التي تطرّق إليها، وقصائده المدحية أطول من غيرها في سائر أغراضه، وهو لا يترك صفة حسنة إلاّ أضافها إلى ممدوحه، ومعظم مديحه كرسه في ملوك الأيوبيين، وسلاطين المماليك ورجال دولتهم، فنال منهم أجزل العطاء، ومن شعره الحسن في المديح تلك القصيدة التي قالها عندما انتصر السلطان الأشرف خليل بن السلطان قلاوون الألفي على الإفرنج وقد انتزع منهم عكا سنة ٦٩٠ هـ والقصيدة محكمة النسيج، متينة العبارة، جزلة الألفاظ فصيحها، مشبوبة العاطفة، وأولها (٣٢): البسيط

الحمد لله نلت دولة الصلْبِ

وعزّ بالترك دين المصطفى العربي

ويستطرد الشاعر في هذه القصيدة إلى الحديث عن المعركة، ووصف ما دار فيها، فصورها تصويراً دقيقاً لا يقف عند الوصف المجرد، بل يتجاوزها إلى ما يحرك القلب، ويأسر اللب، كما تطرّق إلى مدح السلطان الأشرف فوصف أخلاقه وفضائله، ودون مآثره ومفاخره في هذه القصيدة التي تعدّ من عيون الشعر، ومما جاء فيها:

ما بعد عكا وقد هدّت قواعدها

في البحر للشرك عند البرّ من أربي

لم يبق من بعدها للكفر إذ خربت

على الملك من إنشائه ومديحه

عقود علا تزهي بأفخر حلّة

أنارت معانيه فكم أفي يرى

وقد طلعت فيه طلوع الأهلّة

(٢) الرثاء: الرثاء تآبين الميت والإشادة بما له

من مآثر وفضائل، إذ (سبيل الرثاء أن يكون

ظاهر التفجع ، بين الحسرة، مخلوطاً بالتلهّف

والأسف والاستعظام)^(٣٤)، وكان شهاب الدين

الحلبي موفقاً في هذا الغرض، مجيداً فيه كلّ

الإجادة، ونجد في مرثيه صدق اللوعة، ومرارة

الحزن، وألم الفاجعة، وهو يعبر فيها عن محبته

لمن فجع بفقدهم ووفاء لهم وإحياءً لذكراهم، وقد

رثى من أستاذته وشيوخه مجد الدين بن الظهير

الإربلي (ت ٦٧٧هـ) (٣٥) : الطويل

بكته المعالي ولم ير قبله

كريم مضي والمهلكات نوابه

ولا غرو أن تبكي المعالي بشجوها

على المجد إذ أودى وهنّ صواحبه

أنودع نفس المجد بيتاً مصرعاً

طويلاً على زواره متقاربه

ظننت بأني مخلص في وداده

وأخطأ وهمي ، أسوأ الظنّ كاذبه

في هذا النص نجد الشاعر يصور عمق العلاقة

التي تربطه بأستاذه، ومدى الحب الذي يكنه له،

كما صور عميق حزنه وألمه لفقد أستاذه الذي

طالما نهل من علمه، وارتشف من معارفه.

واقترس الموت كثيراً من أصدقائه ومعارفه فرثاهم

رثاءً حاراً أعرب فيه عن حزنه لموتهم، وتأثره

لفقدهم ، ومن ذلك قوله في رثاء علاء الدين علي

بن محمد المصري (ت ٧١٧هـ) وهو أحد أصدقائه

وأهل وده^(٣٦): الكامل

أنعى علاء الدين صدر زمانه

خُلِقاً وخلقاً بارعاً وجلالاً

من الكتابة حين أضحي جديها

الحالي بدر بنانه معطالا

قد كان فارسها الذي ببيراعه

كم راع قبل أسنة ونصالا

(٣) الغزل: ولشهاب الدين غزل جميل، موفور

العاطفة، رقيق الألفاظ، يسلك فيه مسلك الشعراء

العذريين في عفة لفظه ومعناه، وفي بعده عن

الفحش والمجون والتهتك، وهو لا يخرج في

معانيه عن معاني الشعراء الذين سبقوه في وصف

المرأة والتغني بمحاسنها، وما يستتبع الحب من

الشوق والحيرة، وألم الجوى، ومرارة الفراق .. إلى

غير ذلك من المعاني الجزئية لهذا الغرض، ومن

رقيق غزله قوله في محبوبه الذي رُزق من

صباحة الوجه، وهيف القدّ ما جعله يذوب فيه

صبايةً ووجداً^(٣٧): الكامل

حين هجره وتركه يكابد ألم الفراق، ويتجرع لوعة
الأسى وحده؛ فهو لا ينسأه ولا يسلوه مهما طال
هجره، وإعراضه عنه، حتى رق العذول لحاله؛
ويشتدُّ به لاعج الشوق فيتساءل تساؤل المستغرب
عن الوفاء الذي كان بينهما، وطالما سمعه من
محبوبه، ولم كل هذا الجفاء الذي حمل قلبه في
الهوى ما لا يطيق من الهموم والآلام، وكم شكا
له ارتهان مهجته به، وذهاب عقله وراءه، وكم
حلف له أن لا يعاتبه على شيء، إذ لا يزال في
نفسه بقية أمل في وصاله عسى أن يرقَّ لحاله
بما يخفف عنه وطأة الهجر، وقسوة الفراق.

(٤) الوصف: ولشهاب الدين الحلبي أوصاف
رائقة وجميلة، فالطبيعة ومباهجها الساحرة تلامس
حسَّ الشاعر وبصره، وتثير إعجابه، فيهم
بجمالها الأخاذ، ويضفي عليها مشاعره الفياضة
فيطلقها في أشعاره صوراً خلابة، ومن ذلك قوله
يصف قناة احتفرت، وأنبت ماؤها لقرية
المعاصرة^(٣٩): البسيط

أعرتها نظرةً غراً ولو لمحت

سحائب الصيف؛ لأنهلَّت غواديها

فأصبحتُ مثل ظهر الأرض باطنها

نوراً كأنَّ الثريا ركبتُ فيها

يكاد يقطعها الساري على فرسٍ

ركضاً ، وليس تدانيه أعليها

تبدو على التراب من بطن الثرى فتري

ريان من ماء الشباب إذا مشى
تثنى العصون على تثنى خده
ما كنت أشكو من قساوة قلبه
لو أنه أعدته رقة خده
يا سألبي طيب الرقاد وإنما
أسفي على فقد الخيال كفقده

إنه يصف جمال محبوبه وحسنه الذي بدا رائق
الشباب، أهيف القد، قد فطر قلبه بجماله الفتان
الذي سلبه طيب الرقاد، وهو بعد مشغول البال
بحبه ، كثير التفكير به ، وهو مع ذلك لا يعبأ به
، ولا يكثرث ؛ لما عرف به من قسوة القلب على
محبّه . وتضطرُّم جذوة الحبِّ في نفسه حين يرى
إعراضاً وصدوداً من أحبابه الذين وهبهم حبه،
وأسروا قلبه^(٣٨) : البسيط

رقَّ العذول لما ألقى بكم ورثي

لما رأى صدكم عن صبكم عبثا

أين الوفاء الذي كنا نظنُّ وما

هذا الجفاء الذي من بعده حدثا

رجوتُ يوم نواه لو تلبثت لي

لأشتكي بعض ما ألقى فما لبثا

وكم شكوتُ الذي ألقاه منه فما

أوى لذلي ، ولا ألوى ، ولا اكثرتا

وكم حلفتُ بأنِّي لا أعاتبه

ولستُ أول صبِّ في الهوى حنثا

فهذه الأبيات تفيض بالحنين والشوق للمحبيب

تَقْبَلُ الْأَرْضَ إِجْلَالاً لِمَنْشِيهَا

إن من يتأمل هذه الأبيات يعجب من وفرة الخيال فيها، وما حوته من صور موحية ومؤثرة حققت قدراً كبيراً من سحر الخيال وروعته وقوته. فالشاعر في هذا النص يرسم صورة واقعية لقناة قد شقّ الماء طريقه فيها، وهي ليست واسعة بل هي ضيقة يستطيع أن يقطعها الساري على فرسه ركضاً وفي ظلمة الليل.

هذه هي أهم الأغراض التي تطرّق إليها شهاب الدين الحلبي في شعره، على أن هناك أغراض أعرضنا عنها كونها ليست بذات قيمة لقلّتها.

ثانياً- الخصائص الفنية في شعر شهاب الدين الحلبي: إن ما يميّز شعر شهاب الدين الحلبي عموماً أنه محكم البناء، متين العبارة، رشيق الأسلوب، وألفاظه تروق السمع بجرسها، وتلذ اللسان بنطقها، فقد كان مقتدرًا على انتقاء ألفاظه، والملائمة بين عباراته، وهو دليل على براعته ومقدرته على التصرّف في معطيات اللغة تصرف المتمكن منها، العارف بأسرارها. وقد جاءت لغته عذبة مأنوسة لا غريب فيها ولا مستكره، فهو يتوخى السهولة والوضوح، والبعد عن التعقيد والغموض، ويظهر ذلك بجلاء عند تأمل شعره فإنك لا تحتاج إلى معجم لغوي تستعين به في إزالة غموض ألفاظه إلا ما ندر.

وهو كثير الاستعانة بالخيال على تأليف الصور وإبرازها في حلّ زاهية جذابة تستهوي المتلقي وتدفعه إلى التأمّل فيها، ويبدو ذوقه المرفه، وإحساسه الدقيق في حسن اختيار الصورة التي تصلح أكثر من غيرها للتعبير عما يحسّ به من ضروب العواطف وشتى الانفعالات؛ فهو حين يريد أن يصوّر النجم سهيلاً والنجوم من ورائه فإنه لا يجد أبلغ من صورة إمام الجماعة وقد اصطفّ المصلّون خلفه، فيتخيّل هذه الصورة المادية وقد ظهرت من خلال هذا التشبيه

الرائع^(٤٠): الطويل

كأنّ سهيلاً والنجوم وراءه

صفوف صلاة قام فيها إمامها

ومن روعة التشبيه قوله^(٤١): الطويل

أسروا إلى ليلى سراً فما انجلى

وبات كطرفي نجمه وهو حيران

كلانا غريق في الدموع وفي السرى

كأنّ دموع العين والليل طوفان

ومن بديع الاستعارة قوله^(٤٢): الطويل

وظلّقت نومي والجفون حوامل

فمن أجل ذا في الخدّ أبقت لها فرضا

جمع هذا البيت استعارتين، تمثلت الأولى (ظلّقت

نومي)، حيث نسب الطلاق إلى النوم حين شبّه

بالمرأة، والاستعارة الثانية في (والجفون حوامل)،

فلم تخطئوا شيئاً كذا صدنا عمرو
في هذا النص عبر الشاعر بـ (زيد وعمرو) عن
النمام الذي يسعى بين الناس بالخراب، وهو تعبير
بالكنائية، لأن كل من زيد وعمرو في هذا الموضع
اسم لا يقترن بشخص معين، إذ لا ينصرف
الذهن عند ذكرهما إلى أحد آخر عندما يكون
الحديث عن الخراب، وتشعيت أواصر الوداد
والمحبة.

ومن الاقتباس قوله^(٤٥) : الكامل

أفدي الذي بالأمس ودّعي

فقضى اصطباري بعده نحبا

لو أن حكم البحر طوع يدي:

لأخذت كل سفينة غصبا

إن من يتأمل هذا النص يستحضر مقام وسياق
الآية الكريمة (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة
غصبا) [الكهف: ٧٩] .

ومن الجناس التام وهو ما اتفقت الكلمتان لفظاً

واختلفت معنى، قوله^(٤٦) : البسيط

يا نسمة أذكرتني طيب عهدهم

ما كان ضررك لو أذكرت إنسانا

أيقظت جفني وما هم الرقاد به

فأيقظني في الدجى أجفان أجفانا

لقد جانس الشاعر بين لفظة (أجفان) الأولى التي

تعني الجفون وهو جمع جفن، ولفظة (أجفانا)

الثانية التي جاءت بمعنى الجفاء، ولا يخفى على

فالجفون تحمل الدمع وإذا هملت تضعه، فاستعار
الحمل لها لما بينهما من المشابهة، ومراد
الشاعر: هجرت نومي والجفون ممتلئة بالدموع
بقريئة عجز البيت الثاني.

ومن الاستعارة قوله^(٤٣) : البسيط

فيا لها ليلة قضيتها عجباً

الشمس معتبقي ، والبدر معتبقي

في هذا البيت يعبر الشاعر عن الخمرة بالشمس
وهو تعبير بالاستعارة ؛ فقد شبه الخمرة بالشمس
في صفتها، وهي من صوره البصرية التي تعتمد
اللون، وواضح أن إطلاق لفظ (البدر) هنا لا يراد
به وجه الحقيقة بل المراد به محبوب الشاعر؛

فهو يطلق الشمس مجازاً على الخمرة، كما يطلق
البدر مجازاً على المحبوب بقريئة معنوية مفهومة
من سياق النص، ومن هنا فالشاعر يتجاوز في
اللفظتين على غير معناهما في اللغة، وإن علاقة
التشابه واضحة بين المعنى الحقيقي للفظتين
والمعنى المجازي الذي قصد بهما أن تدلّ عليه،
إذ أن الصفرة والحسن هو الذي يربط بينهما،
ومراد الشاعر الحقيقي: (فيا لها ليلة قضيتها
عجباً .. الخمرة معتبقي ومحبوبي معتبقي).

ومن الكناية قوله وهو يعاتب محبوباً^(٤٤): الطويل

تقضّى الهوى منّا ومنكم فكنا

سواء ، ولكن منكم بدأ الشر

وإن كان زيد صدكم عن وصالنا

المبحث الثالث: جهود شهاب الدين الحلبي في

النقد:

كان شهاب الدين الحلبي على جانب كبير من العلم، موفور الحظ من الثقافة، وقد برع في نظم الشعر، وكتابة الرسائل، حتى صار فارس حلبات الكتابة والشعر معاً.

ومن يستقرئ كتاب (حسن التوسل إلى صناعة الترسل) الذي حوى أحكاماً نقدية كثيرة يستدل على منهج شهاب الدين الحلبي في النقد والتحليل، وقد اعتمد في نقده على ذوقه الفني، وحسه المرهف، وما اكتسبه من علوم ومعارف من خلال إطلاعه الواسع على كتب البلاغة، وعلى مدى سعة ثقافته البلاغية التي صنعت منه ناقداً بلاغياً، معتمداً في نقده على ذوقه الفني، وحسه المرهف، وما اكتسبه من علوم ومعارف من خلال إطلاعه الواسع على كتب البلاغة، ودواوين الشعراء، وحفظه أخبار العرب وأيامهم، ومن خلال ممارسته لفن الكتابة، ونظم الشعر فأكسبه ذلك علماً وخبرة وتجربة، وفتح أمامه آفاقاً رحبة أفادته في عمله الأدبي، وجعلت منه ناقداً وبلاغياً كبيراً، له آراء نقدية لها أهميتها في الدراسات الأدبية والنقدية.. ولعل أول ما نقف عنده من آرائه النقدية:

أولاً - النقد الأدبي: برع شهاب الدين في الشعر

المتأمل أن يتحسس لذة هذا الجناس وتأثيره؛ لأن هذا التجانس بين اللفظتين يعمل على إثراء النص بالموسيقى من حيث توافق نغمه، وانسجام جرسه، فيمتزج بالنفس نغمه وصداه.

ومن الجناس المركب المفروق، وهو متشابه لفظاً لا خطأً، قوله^(٤٧): الوافر

فلم أر مثل نشر الروض لماً

تلاقينا وبنيت العامري

جرى دمعي وأومض برق فيها

فقال الروض في ذا العام ربي

وقع جناس المركب المفروق في لفظتي (العامري)

، ولفظة (العام ربي) وكل لفظة منهما تشابه

الأخرى في اللفظ، وتختلف عنها في الحركة،

وهما متجانستان دلالة، ومختلفتان معنى، مع ما

يوفره هذا الجناس من نغم موسيقي، يشتد وقعه،

ويتلاحق تأثيره.

ومن التضمين قوله^(٤٨)

أطمع في ليلي ووصل وإنما

يقطع أعناق الرجال المطامع

(فبت كأي ساورتني ضئيلة

من الرقش في أيابها السم ناقع)

فالبيت الثاني لتأبط شراً وقد ضمنه الشاعر شعره

؛ ليعبر عما يجول في خاطره وهو يتحدث عن

الهجر والبعد؛ لتوافق المراد بينهما.

فقال: نفسٌ جيّد، دالٌّ على التمكن والقدرة، ولكن اجتهد إذا عارضت أن يكون قولك في وزنه ورويّه^(٤٩).

فشهاب الدين بعقليته العلمية التي تفرض عليه مثل هذا التقييم يحرص أشدَّ الحرص على أن تكون المعارضة متناسبة في الوزن الروي والمناسبة التي من أجلها كانت المعارضة.

ومما أوتر عنه أيضاً، وهو ينقد هذه البيتين: الوافر

لهُ حقٌّ وليس عليه حقٌّ

ومهما قال فالحسن الجميلُ

وقد كان الرسول يرى حقوقاً

عليه لغيره وهو الرسولُ

قال شهاب الدين: فإنَّ ألفاظ البيت الأول على انفرادها لا تصلح إلا للممدوح، والبيت الثاني لا يفهم منه مدح ولا ذم بل هو إلى باب الأدب أقرب ، فحصل من اجتماعهما معنى لا يوجبه واحدٌ منهما على انفراده^(٥٠). ومن يتأمل كتابه (حسن التوسل) يتلمس كثيراً من آرائه النقدية للنصّ الأدبي، ما يدلّ على مدى تذوقه للأدب وتعبيره عنه، ومن تلك الآراء النقدية التي سجّلها في كتابه، والتي تساعد على تكوين الملكة الأدبية لدى الشاعر أو الكاتب من خلال حفظ كتاب الله والوقوف على أسرارهِ، والاستكثار من حفظ الأحاديث النبوية وقراءة النحو والنظر في أيام

كما برع في الكتابة، وقد دفعه ولوعه بالشعر لأن يصبح ناقدًا ذواقًا، وكان لآرائه النقدية ثمرات من الأحكام الذوقية تساندها المعرفة بطبيعة الفن الشعري، وما يعرف من عيوب فنية له ، وقد نقلت مصادر ترجمته أشتاتاً من آرائه النقدية، وملاحظاته المختلفة التي أدلى بها في مواقف ومناسبات شتّى، وهي في جملتها آراءٌ وأحكام تدلُّ على فهمه حقيقية الشعر وغرضه، فمن آرائه النقدية ما حكاه صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ) وهو أحد تلامذته النابهين، وأحد حدّاق الأدب، قال: وأنشدني يوماً له: الطويل

إذا كان من أهواهُ روعي وراحتي

ولقياهُ أرجى من حياتي وأرجحُ

وأظمأني منه الزمانُ بفقدِهِ

فلا شكَّ أنّ الموتَ أروى وأروحُ

فاستحسنتهما، وأنشدته لنفسه في اليوم الثاني:

لئن كان ما بي عنك في الحبِّ خافياً

فلا شكَّ أنّ الله أعلى وأعلمُ

وإن كنتَ في إنسان عيني ممثلاً

ففي خاطري ذكراك أغرى وأغرمُ

وإن كنتَ أذكيتُ الجوى بمدامعي

فإن الجوى في القلب أضرى وأضرمُ

وإن كنتَ تختار المنى في منيتي

فو الله إنّ الموتَ أسلى وأسلمُ

في الأسماع)^(٥٧).

ثانياً- النقد البلاغي: سبقت الإشارة إلى أن شهاب الدين الحلبي كان ملماً بعلوم اللغة ونحوها، وفنون الأدب شعراً ونثراً، كما أطلع على كتب البلاغة إطلاعاً واسعاً، مما هيا له أن يكون ناقداً بلاغياً متميزاً، لقد اكتسب شهاب الدين الحلبي مقدرة نقدية ظهرت ملامحها في بعض ما وصل إلينا من آرائه النقدية، وملاحظاته المختلفة على بلاغة الكلام، وصوره البيانية والتعبيرية التي سجلها في كتابه (حسن التوسل إلى صناعة الترسل) الذي يتجلى فيه منهجه النقدي، وقواعده الفنية، واسم الكتاب يوحي بموضوعه، وبنم عنه، إذ أراد فيه مؤلفه أن يبين للناشيء المتأدب أفضل الوسائل وأنجع الطرق التي بها يستطيع أن يكون كاتباً ومنشأً، ويبرز له الأدوات التي ينبغي أن يحتازها، والمزايا التي عليه أن يتحلى بها ليسلك في عداد المنشئين)^(٥٨).

ونستطيع أن نقول: إن شهاب الدين كان ينثر ملاحظاته المختلفة على بلاغة الكلام، وصوره البيانية والتعبيرية في تضاعيف كتابه (حسن التوسل إلى صناعة الترسل)، فقد تحدثت عن البلاغة والفصاحة وفرق بينهما، فالبلاغة عنده أن يبلغ المتكلم بعبارته كنه مراده من إيجاز بلا إخلال، أما الفصاحة فهي خلوص الكلام من

العرب ووقائعهم، وحفظ أشعار العرب، وخطب البلغاء منهم، فضلاً عن المران والدرية^(٥٩). ومن بين الآراء التي سجلها في كتابه وهو يتحدث عن براعة الاستهلال فهو يرى فيه: (أن يأتي الناظم أو الناثر في ابتداء كلامه ببينة أو قرينة تدل على مراده في القصيدة أو الرسالة)^(٦٠). أي أن الشاعر الحاذق الذي يتخير لقصيدته أفضل المطالع، وأحسن الابتداءات، بما يناسب المقصود، ويوافق الغرض الذي من أجله نظم الشاعر قصيدته، وينبغي أن لا يبتديء بشيء يتطير منه^(٦١).

وفي حسن التخلّص يرى أن يكون التشبيب أو النسب ممتزجاً بما بعده^(٦٢)، وهذا يعني أن ينتقل الشاعر من معنى إلى معنى انتقالاً (رشيقاً دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلّا وقد وقع في الثاني لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما حتى كأنهما أفرغا في قالب واحد)^(٦٣).

أما الغرض الرئيس الذي يسميه ببراعة الطلب فهو يرى (أن تكون ألفاظ الطلب مقترنة بتعظيم الممدوح)^(٦٤). ويسجل لنا رأياً مهماً في خاتمة القصيدة فهو يرى أن الشاعر المبدع الذي يجتهد في تحسين خاتمة قصيدته (وهو أن يكون آخر الكلام الذي يقف عليه مستعدباً حسناً لتبقى لذته



مقرراً بينهما ظاهراً، وكلما زاد التشبيه خفاء زادت الاستعارة حسناً، بحيث يكون أطف من التصريح بالتشبيه، فإنك لو رمت أن تظهر التشبيه في قول ابن المعتز:

أثمرت أغصان راحته

لجنة الحسن عنباً

احتجت أن تقول ك أثمرت أصابع راحته التي هي كالأغصان لطالب الحسن شبه العناب من أطرافها، وهذا مما لا خفاء بغثائه^(١٣). لقد كان الحلبي محققاً في عنايته بالاستعارة، واهتمامه بتوضيح الفرق بينها وبين التشبيه.

أما كلامه عن المحسنات البديعية التي فشا استعمالها في عصره وكثر، فقد وقف منها موقفاً وسطاً يتسم بالإنصاف والموضوعية لهذه الألوان البديعية، فهي لا تحظى باهتمامه إلا إذا صدرت عن طبع سليم، جارية في الكلام على سجيبتها من غير تكلف، أو إسراف في الصنعة، فالجناس المقبول لديه مثلاً هو الذي يتنبه إلى حسن موقعه بالذوق الصحيح، ويبلغ مرتبة سمو (إذا قل)، وأتى في الكلام عفواً، من غير كد، ولا استكراه، ولا بعد، ولا ميل إلى جانب الركة^(١٤).

والطباق من الفنون البديعية التي تطرق إليها والذي يعتمد مكونه اللفظي الكيفية التي يخرج بها النسق التركيبي في كشف العلاقات الدلالية والانفتاح على المعاني وهو (أن تجمع بين

التعقيد، والبلاغة تقع في المعاني، والفصاحة في الألفاظ، ويقال: معنى بليغ، ولفظ فصيح^(٥٩). وتكلم عن المجاز بوصفه أحد أعمدة الكلام، وعليه المعول في التوسع والتصريف في فنون القول، وهو أعم من الاستعارة والتمثيل والكناية، فهو جنس لها^(٦٠)، ويرى اعتبار كون اللفظ مجازاً إلى اعتبار شيئين: الأول أن يكون منقولاً عن معنى وضع اللفظ بإزائه، وبهذا يتميز عن اللفظ المشترك، الثاني أن يكون ذلك النقل لمناسبة بينهما فلا توصف الأعلام المنقولة بأنها مجاز^(٦١). وكان من بين الفنون التي ذكرها في كتابه، واستعان بها في نقده: التشبيه الذي عدّه ركن من أركان البلاغة لإخراجه الخفي إلى الجلي، وإدناؤه البعيد من القريب، وهو حكم إضافي لا يوجد إلا بين الشئيين بخلاف الاستعارة. كما فرق بينه وبين المجاز، يقول: إن التشبيه ليس من المجاز؛ لأنه معنى من المعاني، وله ألفاظ تدل عليه وضعاً فليس فيه نقل اللفظ عن موضوعه، وإنما هو توطئة لمن يسلك سبيل الاستعارة والتمثيل؛ لأنه كالأصل لهما وهما كالفرع له^(٦٢). وتحدثت عن حد الاستعارة ناقلاً في ذلك أقوال العلماء، وهي عنده أخص من المجاز، إذ قصد المبالغة شرط في الاستعارة دون المجاز، ويرى أن المعنى يُعار أولاً ثم بواسطة يعار اللفظ، ولا تحسن الاستعارة إلا حيث كان التشبيه

وبعيدة فإذا سمعها الإنسان سيق إلى فهمه القريب ، ومراد المتكلم البعيد^(٦٩). كما تكلم عن الاستخدام الذي عبر عنه بأن يأتي المتكلم بلفظة لها معنيان، ثم يأتي بلفظتين يستخدم كل لفظ منهما في معنى من معني تلك اللفظة المتقدمة^(٧٠)، وهنا لمح صلة بين التورية والاستخدام ، وقد أوضح شهاب الدين الفروق المميزة بين الأسلوبين فقال (وربما التبس الاستخدام بالتورية أيضاً من كون كل واحد من البابين مفتقراً إلى لفظ لها معنيان ، والفرق بينهما أن التورية لاستعمال أحد المعنيين من اللفظة ، وإهمال الآخر ، والاستخدام استعمالهما معاً)^(٧١).

والإيغال من الفنون البديعية التي تطرق إليها شهاب الدين الحلبي وأولاه عناية عندما تحدث عن فنية هذا اللون البديعي وبراعته، يقول (معنى الإيغال أن المتكلم أو الشاعر إذا انتهى إلى آخر القرينة أو البيت استخرج سجة أو قافية تفيد معنى زائداً على معنى الكلام ، وأصله من أوغل في السير إذا بلغ غاية قصده بسرعة)^(٧٢). وهكذا نرى أن شهاب الدين الحلبي كان أحد جهاذة العلم، وحنّاق الأدب، وكان له من فطنته وعلمه ونبوغه ما أهله لتولي ديوان الإنشاء وهو بعد في ريعان الشباب، وهو منصب لا يتولاه إلا من أتقن الكتابة، وتفنن بها، وقد جمع إلى براعته

ضدين مختلفين)^(٦٥)، كما تطرق إلى المقابلة التي هي أعم من الطباق ، وذلك أن تضع معاني تريد الموافقة بينها وبين غيرها، أو المخالفة فتأتي في الموافق بما وافق، وفي المخالف بما خالف ، أو تشترط بشروط، وتعدّ أحوالاً في أحد المعنيين^(٦٦). وبذلك تكون معطيات هذا الفن قد أضاعت وهجاً دليلاً له علاقات إيقاعية تتناغم مع حركة النفس الداخلية التي ترنو شوقاً للوقوف على المعنى الباطن الذي يولد المثير، ويحقق الاستجابة عند المتلقي.

ومن الفنون البديعية التي تناولها شهاب الدين الحلبي في كتابه: السجع الذي التزمه الكتاب وحرصوا عليه؛ لأنه صورة من صور الإيقاع المتناغم الذي يكسو النص الذي يرد فيه جمالاً، ويزيد المعنى بموسيقاه استقراراً في النفس وتأثيراً؛ بسبب تعاقب المقاطع على نحو منتظم فيشتد وقعها، ويتلاحق تأثيرها، والسجع عنده عبارة عن (كلمات موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفاً عليها؛ لأن الغرض أن يجانس بين القرآن ويزاوج بينهما، ولا يتم ذلك إلا بالوقوف)^(٦٧)، ويرى أن جودة السجع وحسنه تكمن بقصر فقره التي تدل على قوة التمكن وإحكام الصنعة^(٦٨). وتحدثت عن التورية وقد أطلق عليها اسم الإيهام وحدّها: هو أن تذكر ألفاظاً لها معانٍ قريبة

٥- كما توصل البحث إلى أن نثر شهاب الدين الحلبي يعطينا صورة واضحة عن طريقته في الكتابة، ونمط تفكيره، فهو يميل إلى الإيجاز، والوضوح مع غلبة السجع عليه، وكثرة الاقتباس من القرآن والاستشهاد بأقوال الحكماء.

٦- يعدُّ شهاب الدين الحلبي من ذوي المواهب المتعددة؛ فقد جمع بين الكتابة والشعر والتأليف، وقد برع في الشعر كما برع في الكتابة، وشعره صورة صادقة حية تعكس طبيعة الحياة التي عاشها شهاب الدين الحلبي، وسمات عصره الحافلة بالقلق الاجتماعي والاضطراب السياسي.

٧- أوضح البحث ومن خلال استقراء كتاب (حسن التوسل إلى صناعة التوسل) أنه تضمن أحكاماً نقدية كثيرة يستدلُّ بها على منهج شهاب الدين الحلبي في النقد والتحليل، وعلى مدى سعة ثقافته البلاغية التي صنعت منه ناقدًا بلاغيًا، وقد اعتمد في نقده على ذوقه الفني، وحسه المرهف، وما اكتسبه من علومٍ ومعارفٍ من خلال إطلاعه الواسع على كتب البلاغة، ودواوين الشعراء، وحفظه أخبار العرب وأيامه، ومن خلال ممارسته لفن الكتابة، ونظم الشعر فأكسبه ذلك علماً وخبرة وتجربة، وفتح أمامه آفاقاً رحبة أفادت في عمله الأدبي.

في النثر وصناعة الإنشاء البراعة في نظم الشعر والإجادة فيه.

الخاتمة: ومن كلِّ ما تقدم نستطيع أن نقول:

١- إنَّ شهاب الدين الحلبي يعدُّ علماً من أعلام الحركة العلمية والأدبية في القرن الثامن الهجري؛ لما بذله من جهود كبيرة في مجال خدمة اللغة العربية والوقوف على علومها المختلفة، وما خلفه لنا من تراث علمي وأدبي ضخم ومهم.

٢- كان شهاب الدين الحلبي ملماً بعلوم عصره: كالنحو واللغة والأدب، والتاريخ، والفقه والحديث؛ إلا أن الغالب عليه الأدب والشعر.

٣- أظهر البحث أن شهاب الدين الحلبي يعدُّ في الذروة من كتّاب الدواوين في العصر المملوكي؛ لبلاغته، ودقّة تفكيره، وروعة أدائه، وحسن تأتبه في الرسائل، وقد احتل مكانة متميزة في تاريخ الأدب العربي، إذ جمع بين الكتابة والشعر، كما كان ناقدًا ذواقًا له آراؤه البلاغية وأحكامه النقدية.

٤- أبان البحث أن الكتابة كانت من أهم آثار شهاب الدين الحلبي، وأعظم مجالاته نبوغاً، وشهرته فيها أعظم من شهرته شاعراً، وقد تنوعت إبداعاته الأدبية بين الشعر والكتابة، وظهرت مقدرته الفنية في كتاباته النثرية التي اتخذت أشكالاً متنوعة.

- (١) ينظر في ترجمته : مسالك الأبصار : ٢٩٣/١٢ ، تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٧٢٥ هـ) : ٢٣١ ، الوافي بالوفيات : ٢١٨/١٩ ، أعيان العصر : ٣٧٢/٥ ، ألحان السواجع : ١٣٤/٤ ، فوات الوفيات : ٨٢/٤ ، البداية والنهاية : ١١٨ /١٤ ، تذكرة النبيه : ١٥٢/٢ ، الذيل على طبقات الحنابلة : ٤٥٩/٤ ، المنهل الصافي : ٢٠٤/١١ ، الدليل الشافي : ٧٢٤/٢ ، النجوم الزاهرة : ١٩٠/٩ ، شذرات الذهب : ١٢٤/٨ ، درة الحجال : ٣٢١/٢ ، البدر الطالع : ٢٩٥/٢ .
- (٢) الوافي بالوفيات : ٢١٨/١٩ ، أعيان العصر : ٣٧٤/٥ ، تذكرة النبيه : ١٥٤/٢ ، البداية والنهاية : ١١٨/١٤ .
- (٣) الوافي بالوفيات : ٢١٨/١٩ ، وأعيان العصر : ٣٧٢/٥ ، الذيل على طبقات الحنابلة : ٤٦١-٤٦٣/٤ ، البداية والنهاية : ١١٨/١٤ ، المنهل الصافي : ٢٠٤/١١ - ٢٠٥ .
- (٤) تذكرة النبيه : ١٥٣ .
- (٥) المنهل الصافي : ٢٠٥/١١ .
- (٦) معجم الشيوخ : ٣٢٩/٢ .
- (٧) أعيان العصر : ٣٧٤/٥ .
- (٨) ينظر : تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٧٢٥ هـ) : ٢٣٢ ، الوافي بالوفيات : ٢١٨/١٩ ، الذيل على طبقات الحنابلة : ٤٦٠/٤ ، تذكرة النبيه : ١٥٣-١٥٤/٢ .
- (٩) ذيل طبقات الحنابلة : ٤٦١/٤ ، البداية والنهاية : ١١٨/١٤ .
- (١٠) ينظر عن مؤلفاته : مسالك الأبصار : ٢٩٥/١٢ ، وفوات الوفيات : ٨٢/٤ ، والمنهل الصافي : ٢٠٥/١١ .
- (١١) البداية والنهاية : ١١٨/١٤ .
- (١٢) حسن التوسل : ٣٣٠-٣٣١ .
- (١٣) صبح الأعشى : ٤٤٨ /٨ .
- (١٤) محاضرات في النثر العربي الحديث : ٩ .
- (١٥) حسن التوسل : ٣٨٢ - ٣٨٣ .
- (١٦) محاضرات في النثر العربي الحديث : ٩ .
- (١٧) حسن التوسل : ٣٩١ .
- (١٨) المصدر نفسه : ٣٦٨ .
- (١٩) المصدر نفسه : ٣٧٥ .
- (٢٠) إحكام صنعة الكلام : ١٦٩ .
- (٢١) كتاب الاقتباس من القرآن الكريم : ٨٢ .

- (٢٢) حسن التوسل : ٣٢٣ .
- (٢٣) حسن التوسل : ٣٧٨ .
- (٢٤) صبح الأعشى : ٢٣٤/١ .
- (٢٥) حسن التوسل : ٣٥٣ .
- (٢٦) أنوار الربيع : ٢١٧/٢ .
- (٢٧) أنوار الربيع : ٢٣٤/٢ .
- (٢٨) حسن التوسل : ٣٠٨ .
- (٢٩) حسن التوسل : ٣٢٥-٣٢٦ .
- (٣٠) المصدر نفسه : ٢٨٤ .
- (٣١) أعيان العصر : ٣٧٣/٥ .
- (٣٢) القصيدة في كنز الدرر ٣١٦-٣١٧ ، وتاريخ ابن الفرات : ١١٥-١١٦ / ٨ .
- (٣٣) الأبيات في تذكرة النبيه : ٥١/٢ .
- (٣٤) العمدة في محاسن الشعر وآدابه : ١٤٧ / ٢ .
- (٣٥) مسالك الأبصار : ٣٢٥ / ١٢ .
- (٣٦) تذكرة النبيه : ٨٤-٨٥ / ٢ ، درّة الأسلاك (خ) ، ورقة : ٢١١ .
- (٣٧) فوات الوفيات : ٩١/٤ .
- (٣٨) الوافي بالوفيات : ٢٣٢/١٩ .
- (٣٩) مسالك الأبصار : ٣٢٥/١٢ .
- (٤٠) المصدر نفسه : ٣٢٨/١٢ .
- (٤١) حسن التوسل : ١١٧ .
- (٤٢) البيت في عقود الجمان (خ) ، ورقة : ٣١٨ ، وفوات الوفيات : ٨٣/٤ .
- (٤٣) البيت في عقود الجمان (خ) ، ورقة : ٣٢١ .
- (٤٤) البيت في فوات الوفيات : ٩٠/٤ .
- (٤٥) فوات الوفيات : ٨٥/٤ ، عقود الجمان (خ) ، ورقة : ٣١٨ .
- (٤٦) حسن التوسل : ١٨٥ .
- (٤٧) المصدر نفسه : ١٨٩-١٩٠ .
- (٤٨) حسن التوسل : ٢٤١ .
- (٤٩) ألحان السواجع : ١٤٠-١٤١ / ٤ .
-
- 

- (٥٠) حسن التوسل : ٣٠١ .
- (٥١) ينظر : حسن التوسل : ٧٢-١٠٢ .
- (٥٢) المصدر نفسه : ٢٥٠-٢٥١ .
- (٥٣) المصدر نفسه : ٢٥١ .
- (٥٤) المصدر نفسه : ٢٥٤ .
- (٥٥) خزانة الأدب ، الحموي : ١/٣٢٩ .
- (٥٦) حسن التوسل : ٢٥٥ .
- (٥٧) المصدر نفسه : ٢٥٥ .
- (٥٨) عصر سلاطين المماليك : ١٢٥/٦ .
- (٥٩) حسن التوسل : ١٠٢-١٠٣ .
- (٦٠) المصدر نفسه : ١٠٥ .
- (٦١) المصدر نفسه : ١٠٦ .
- (٦٢) المصدر نفسه : ١٠٦ ، ١٢٥ .
- (٦٣) المصدر نفسه : ١٢٨-١٢٩ .
- (٦٤) المصدر نفسه : ١٩٨ .
- (٦٥) المصدر نفسه : ١٩٩ .
- (٦٦) المصدر نفسه : ٢٠٢-٢٠٣ .
- (٦٧) المصدر نفسه : ٢٠٦ .
- (٦٨) المصدر نفسه : ٢١٣ .
- (٦٩) المصدر نفسه : ٢٤٩ .
- (٧٠) المصدر نفسه : ٢٦٧ .
- (٧١) المصدر نفسه : ٢٦٧ .
- (٧٢) المصدر نفسه : ٢٦١ .
-
- 

المصادر والمراجع:

١. إحكام صنعة الكلام : لأبي القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي الأندلسي (أحد أعلام القرن السادس الهجري)، تحقيق : د . محمد رضوان الدايدة ، مطبعة النجوى ، بيروت ، ١٩٦٦ م ،
٢. أعيان العصر وأعيان النصر : لخليل بن أبيك الصفدي (ت ٧٦٤ هـ) تحقيق : د . علي أبو زيد وآخرون ، المطبعة العلمية ، دمشق ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ .
٣. الاقتباس من القرآن الكريم : لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) تحقيق : د . ابتسام مرهون الصفار ، عالم الكتب الحديث ، أريد ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م .
٤. ألحان السواجع بين البادية والمراجع : لخليل بن أبيك الصفدي (ت ٧٦٤ هـ) ، تحقيق : محمد عايش ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ٢٠٠٧ م .
٥. أنوار الربيع في أنواع البديع : لصدر الدين علي بن أحمد بن معصوم المدني (ت ١١٢٠ هـ) ، تحقيق : شاكِر هادي شكر ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .
٦. البداية والنهاية : لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (٧٧٤ هـ) تحقيق : د . أحمد أبو ملحم وآخرون ، الطبعة الثالثة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
٧. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع : لمحمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠ هـ) ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ،
٨. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ، تحقيق : د . عمر عبد السلام تدمري ، ط ٢ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .
٩. تاريخ ابن الفرات : لناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات ، عنى بتحريه : د . حسن محمد الشماع ، مطبعة حداد ، البصرة ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م .
١٠. تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه : للحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب (ت : ٧٧٩ هـ) ، تحقيق : د . محمد أمين ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٧٦ م .
١١. حسن التوسل إلى صناعة الترسل : لشهاب الدين محمود بن سليمان الحلبي (ت : ٧٢٥ هـ) ، تحقيق : أكرم عثمان يوسف ، دار الحرية ، بغداد ، ط ١ ، ١٩٨٠ م .
١٢. خزنة الأدب وغاية الأرب : لأبي بكر بن علي بن عبد الله بن حجة الحموي (ت ٨٣٧ هـ) ، تحقيق : د . كوكب دياب ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٥ م .
١٣. درة الأسلاك في دولة الأتراك : للحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب (ت ٧٧٩ هـ) ، دار الكتب والوثائق المصرية ، القاهرة ، الرقم (٧٦٥٤ ح) .
١٤. درة الحجال في أسماء الرجال : لأبي العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي (ت ١٠٢٥ هـ) ، تحقيق : محمد الأحمد أبو النور ، دار التراث ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .

١٥. الدليل الشافي على المنهل الصافي : لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٩٨م .
١٦. الذيل على طبقات الحنابلة : لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب (ت ٧٩٥هـ) ، تحقيق : د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، مكتبة العكيان ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م .
١٧. شذرات الذهب في أخبار من ذهب : لشهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد المعروف بابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) ، تحقيق : محمود الأرنؤوط ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
١٨. صبح الأعشى في صناعة الإنشا : لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ) ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د. ت) .
١٩. عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي : محمود رزق سليم ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م) : ١٨٠ - ١٧٩ / ٦ .
٢٠. عقود الجمان على وفيات الأعيان : لبدر الدين محمد بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ) ، معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية ، القاهرة ، الرقم (٣٣٨ تاريخ) .
٢١. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ) ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط ٢ ، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م .
٢٢. الغيث المسجم في شرح لامية العجم : لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .
٢٣. فوات الوفيات والذيل عليها : لمحمد بن شاکر الكتبي (ت ٧٦٤هـ) ، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ١٩٧٤م .
٢٤. كنز الدرر وجامع الغرر (الدرّة الزكية في أخبار الدولة التركية) : لأبي بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري (ت ٧٢٥هـ) ، تحقيق : أولرخ هارمان ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م .
٢٥. محاضرات في النثر العربي الحديث : د. حاتم الساعدي ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، ١٩٩٩م .
٢٦. مسالك الأبصار في مالک الأمصار : لابن فضل الله أحمد بن يحيى العمري (ت ٧٤٩هـ) ، تحقيق : مهدي النجم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٠م .
٢٧. معجم الشيوخ : لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق : محمد الحبيب الهيلة ، مكتبة الصديق ، الرياض ، ١٩٨٨م .

٢٨. مقدمة ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) تحقيق : د . علي عبد الواحد وافي ، ط ٢ ، مطبعة الرسالة ، ١٩٦٨ م .
٢٩. المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي : ليوسف بن تغري بردى الأتابكي (ت ٨٧٤ هـ) ، تحقيق : د . محمد محمد أمين ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٩٩ م .
٣٠. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي (ت : ٨٧٤ هـ) قدم له وعلق عليه : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م .
٣١. نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي : د . حسين نصار ، ط ٢ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .
- . الوافي بالوفيات : لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت : ٧٦٤ هـ) ، تحقيق : أبو عبد الله جلال الأسيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٠ م .